الخطاب الديني السعودي في مدافعة التغريب قبل عام ١٣٩٩هـ /١٩٧٩ م

"مفتي الديار السعودية نموذجًا"

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ،،

فقد عُرض على قناة mbc يوم الإثنين ١٤٣٩/٢/١٧ هـ حلقة من برنامج الثامنة تحت عنوان: (#حكايا_الصحوة) تضمنت عرض فيلم من إنتاج القناة، ثم الحوار المعتاد بين مقدم البرنامج وضيوفه..

وكعادة قناة mbc في تناولها لهذه القضايا؛ افتقر النقاش إلى أدنى مقومات البحث العلمي لتأريخ الأفكار أو الدول، وبدى عرضًا سطحيًا لقضايا كبيرة وحساسة، فضلًا عن حشوه بعشرات الدعاوى التاريخية أو الشرعية، سواء من الضيوف، أو ما تم اقتباسه وعرضه على الشاشة من تغريدات منتقاة لبعض المتابعين، دون إقامة أي براهين عليها، كما هو المعتاد تمامًا من هذه القنوات، وتأكيدًا منها على الدور الوظيفي لها في تشويه دين الإسلام من جهة، وتاريخ الدولة السعودية المناصر والناشر له من جهة أخرى.

وسأقتبس في مقدمة هذه الورقة شيئًا من هذا التشويه والعبث الذي جاء في البرنامج ليتضح للقارئ ذلك:

افتتح الشريان حلقته مخاطبا د.الصويان بعد عرض الفيلم القصير والذي احتوى على "حكايا" من رجال ونساء، يصفون فيها مشاهدَ وسلوكيات زعموها للمجتمع السعودي قبل وبعد "الصحوة" فقال له:

"فترتين؛ عاش المجتمع بالصورة الي شفت، وعام ٧٩ كأنه واحد أسدل الستار وبدأ مجتمع ثاني!"

فهكذا رأت mbc المجتمع السعودي، أنه كان على صورة ما، ثم وتحديدًا في عام ٧٩م أُسدل ستار وجاء مجتمع جديد، وأن هذا كله حدث فجأة، وجملة واحدة! حتى أن "**المجتمع بكل أطيافه، الجميع انجرف**" كما قال الشريان متعجبًا من تأثير "الصحوة" وسرعة تقبل المجتمع لخطابها، والذي اختار فراج العقلا أن يعبر عنه بقوله " **أحس إننا اختطفنا بعد عام ٧٩**".

والحقيقة أن هذا التسطيح لفكر المتابع، والاستهتار بتاريخ الدولة السياسي والدعوي وتزييفه؛ ليعجب منه الواحد أشد العجب، فليس ثمة دولة ولا أمّة من أمم التاريخ استطاعت أن تغير مجتمعها بإسدال ستار! بل حتى الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ ما كان لهم أن يُحدثوا التغيير بأقوامهم في هكذا وقت، وما نالهم من القبول ما تزعم ال mbc أن "الصحوة" نالته!.

ثم جاء دور د.الصويان ليعطي الرؤية التحليلية والتاريخية لهذا التغيير وأسبابه، فكان مما قاله أن "**الصحوة أيدلوجيا مستوردة وليست محلية**".

إذن، الأفكار التي أدت إلى تغير المجتمع كما تزعم mbc هي أفكار مستوردة لا يعرفها الخطاب الديني السعودي قبل عام٧٩م.

وعن وقت تسربها إلى المجتمع قال د.الصويان: "**حينما بدأ التعليم، وبرزت الحاجة إلى أنك تستقدم مدرسين**" فبحسب ضيف الحلقة؛ أن بداية استيراد أفكار "الصحوة" كان عند الحاجة إلى جلب المعلمين، والذي "**تزامن مع الخلاف مع عبدالناصر والملك فيصل**".

ومن هنا بدأ تزييف وتشويه جديد لتاريخ هذه الدولة وقادتها، فالدكتور الصويان يرى أن الملك فيصل وجد في هذا التزامن فرصة لاستقدام الإخوان المسلمين من مصر، ليس انتصارًا للمظلوم من الظالم كما يعرف الناس، وإنما "**نكاية بعبد الناصر**" فقط! هكذا عبّر الصويان عن سبب استقبالهم، ليصف فترة تاريخية عظيمة لهذه البلاد وقادتها في وقوفها مع قضايا الإسلام والمسلمين بالتوظيف السياسي للنكاية بالعدو وحسب؟!.

واستمر هذا العبث والتشويه لتاريخ الدولة وقادتها حيث أردف قائلاً : "**بعدين جت مرحلة الخليج، أيام الملك فهد الله يرحمه، فحس أنه لازم يقدم بعض التنازلات للإخوان المسلمين الي كانوا قد تأسسوا وترعرعوا**"

إذن، هذه مرحلة جديدة لتمكين "الصحوة المستوردة" بحسب رأي الضيف، تسبب بها الملك فهد رحمه الله؟! وأن الدولة كانت في ضعف تجاه هذا التيار "الصحوي" مما اضطر الملك إلى أن يقدم "**تنازلات**" وأن سبب قيام الملك بذلك "**أن بعض الشر أهون من بعض، لأن عنده قضية كبيرة وهي تحرير الكويت وإخراج صدام**" فقدم تلك التنازلات "**ليأمن شرهم**" ثم إنهم بعد ذلك "**تغلغلوا في نسق الدولة كلها**".

هكذا قامت الـmbc وضيوفها بالعبث بتاريخ الدولة السعودية، بل والتشكيك بسيادتها على قرارها الداخلي! وتزييف مراحل عظيمة وحساسة لها، وتشويه هويتها الإسلامية ومواقف ملوكها، بسردية "قصصية" هي أشبه بحديث المجالس من طرح علمي وبحثي هو الأجدر بهكذا قضايا، إضافة إلى عشرات الدعاوى الفارغة والتي تم بثها إلى ملايين المتابعين حول العالم بذات الصورة.

وأستطيع أن ألخص ما يهمني في هذه الورقة من الحلقة بمحورين رئيسين:

المحور الأول: تركيز البرنامج على نماذج معينة زعموها من سلوك المجتمع قبل وبعد "الصحوة"، غالبها يدور حول قضايا المرأة، كحجابها، واختلاطها بالرجال، وعملها المختلط خارج المنزل، وقد نالت هذه القضايا النصيب الأكبر من الحلقة، بالإضافة إلى طرح قضايا أخرى مثل: الغناء، والسينما والتلفزيون، والتصوير.

وتم عرض ذلك كله بصورة نمطية للخطاب التغريبي المعروف من هذه القناة، وبعيدًا عن أي طرح علمي يُحترم.

ورسالة البرنامج عبر **هذا المحور** :أن المجتمع السعودي إذا تغير اليوم إلى تلك السلوكيات، فإنه لا يتحول إلى مجتمع غريب! وإنما يرجع إلى أصله، فلا يستوحش الناس هذه الخطوات، وأن الرأي الفقهي الذي يستنكر هذه المظاهر إنما هو رأي دخيل وغريب عن هويتنا.

ولا بد من التأكيد على قضيتين هنا:

الأولى: أن ما ذكره البرنامج من سلوكيات نسبها للمجتمع لا تخلو من ثلاث حالات: سلوكيات مبالغ في وصفها، وأخرى هي تعميم للشاذ في المجتمع، والثالثة سلوكيات واقعة حقيقة في تلك الحقبة، وهذه الأخيرة لست في صدد إنكارها، بل سيأتي معنا من الوثائق ما يثبتها إن شاء الله.

الثانية: أن العبرة في معرفة الحق من أحكام الشريعة هو الدليل الشرعي، وليس بأحوال مجتمع من المجتمعات، فلا يُقال أن الحق في حجاب المرأة تغطية وجهها؛ لأن الناس في السعودية يفعلون ذلك، أو أن الحق جواز كشفه؛ لأن الناس بالسعودية كانوا على ذلك، فإن هذا ليس من مصادر التشريع في شيء..إلا عند قناة mbc.

أما **المحور الثاني** من محاور الحلقة : فهو الخطاب "الصحوي" الذي أدى إلى هذا التغيير، تأريخه، وصورته، وأسباب قبوله.

ورسالة mbc لمتابعيها من هذين المحورين جميعا: أن المجتمع السعودي كان متدينًا بصورة "**سمحة**" كما وصفها الشريان وضيوفه، فالمرأة غالبًا لا تغطي وجهها، ولا تعرف هذه العباءة السوداء، وتختلط بالرجل الأجنبي عنها في كل أمور الحياة، وتصافحه وتجالسه، بل ولربما رقصت أمامه كما ذكر د.الصويان (د:٤٩)، والناس يسمعون الغناء ويلهون بأنواع الملهيات دونما خطاب ديني يستنكر ذلك، ثم فجأة بعد عام ٧٩م "**جاء تدين صوته عال وشديد، فانقلب المجتمع**".

إذن، فالقناة تزعم أن الخطاب الديني السعودي قبل عام ١٩٧٩م لم يكن يبالي من تلك السلوكيات المذكورة، أو كان متقبلًا لها، أو بعيدًا عن الخوض فيها، أو متساهلًا معها، وإنما حصل التغيير "الصحوي" في المجتمع بسبب خطاب **جديد** تماما، جاء مستوردًا من خارج البلاد أتى بعد ذلك العام.

ولا شك أن هذه الدعوى ظاهرة البطلان، ولا تحتاج إلى كبير جهد لدحضها لتهافتها، إلا أنه قد كثر الطرق عليها أخيرا، وإذا كثر طرح الباطل؛ وتعددت وسائل عرضه؛ وكثر القائلون به؛ صدقته العقول، لا سيما إذا كان الباطل خاليًا في الساحة دونما مزاحمة من قول الحق.

ويمكن دحض هذه الدعوى وإسقاطها بمجرد إثبات أن الخطاب الدعوي السعودي قبل عام ١٩٧٩ م هو ذات الخطاب الذي جاء بعده، بل هو مصدره ومُلهمه، وهذا هو لب القضية وجوهرها، فليس الخلاف في وجود مظاهر السفور أو الانفلات في حقبة ما، وإنما في الموقف الشرعي والخطاب الديني الذي زامنها.

وسأستعرض في هذه الورقة نماذج أصلية لذلك الخطاب التليد، معتمدًا على النقول الموثقة، ليتبين للقارئ أن الخطاب الديني السعودي "الرسمي" في حقبة ما قبل ٧٩م؛ هو في حقيقته معارض ومحارب لكل ما تروجه الmbc وأنصارها من قضايا السفور، والاختلاط واللهو المحرمين، ونظائرها من القضايا التي تدور في فلك التغريب، والحرب على الفضيلة وأهلها.

* * * * * * *

مفتي الديار السعودية

العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م)

كانت السبعينات الهجرية/الخمسينات الميلادية بداية تكوّن أركان المؤسسة الدينية الرسمية للدولة السعودية الثالثة فيما يخص الفتوى والقضاء، وسن التنظيمات الإدارية لها، فتم تأسيس دار الإفتاء عام ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م ، ثم تلا ذلك تأسيس رئاسة القضاء سنة ١٣٧٦ هـ /١٩٥٦ م ، وفي الشأن الدولي ودور المملكة الديني فيه؛ تم تأسيس رابطة العالم الإسلامي عام ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م.

وقد تولى رئاسة ذلك كلّه منذ التأسيس: سماحة الشيخ العلامة مُحمَّد بن إبراهيم آل الشيخ، فقيه عصره، ورئيس قضاة مصره، عضد الإمام المؤسس، وسليل الإمام المجدد، فهو مُحمَّد بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الإمام الشيخ مُحمَّد بن عبدالوهاب.

قال الشيخ مُحمَّد بن قاسم رحمه الله(تلميذه وجامع رسائله وفتاويه) في ترجمته لشيخه:

"لمس فيه مشايخه الألمعية النادرة المبكرة والنجابة الظاهرة فأدركوا أنه الخليفة لهم الذي يمكن أن يطمئن إليه في مجالس العلم، فأوصى عمه الشيخ عبدالله الملكَ عبدالعزيز – رحمه الله – بابن أخيه خيرًا، وذكر له ما يتمتع به من المزايا الفذة التي لا تكاد تتوافر إلا في قليل من الرجال الذين وهبهم الله ذكاءً وفطنةً وجلدًا وإخلاصًا.

وحين توفي الشيخ عبدالله عام ١٣٣٩هـ أخذ ابن أخيه مجلسه فبدأ التدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالوا على قيد الحياة، ولما توفي شيخه سعد بن حمد بن عتيق عام ١٣٤٩هـ وتوفي قبله الشيخ حمد ابن فارس عام ١٣٤٥هـ توسع في مجالس التدريس واستقل بأكثرها إلى جانب أعمامه رحمهم الله وغيرهم من أفاضل العلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس على فترات متعاقبة في بعض العلوم"

أما تلاميذه رحمه الله "**فقد مر به أَفواج بعد أفواج ينهلون من علمه، ويستنيرون بثاقب نظره، وقد انتشروا في أنحاء المملكة السعودية، بين عالم وقاض ومدرس وواعظ وخطيب مسجد ومتفرغ من الأعمال**"

ونذكر منهم: العلامة الشيخ عبدالله بن حميد، والعلامة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، والعلامة الشيخ عبدالله بن عقيل، والعلامة الشيخ عبدالله بن جبرين، رحمهم الله أجمعين..

وإن من أبرز تلاميذه وأنجبهم، وأشبههم به: الإمام العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله، والذي خلفه في كثير من مناصبه بعد وفاته.

وبالإضافة إلى منزلة الشيخ ابن إبراهيم العلمية وعلو كعبه بعلوم الشريعة؛ وفضله على طلبة العلم في زمانه وجلوسه لهم؛ ومآل الفتوى والقضاء إليه؛ فقد كان له عظيم الأثر في حركة التعليم في الدولة، حيث ولي رئاسة المعاهد العلمية والكليات منذ تأسيسها عام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م ، ورئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها كذلك عام ١٣٨١ هـ /١٩٦٢ م.

ومن مناقب الشيخ التي يحفظها له التاريخ؛ ومناصبه التي تقلدها كذلك؛ أنه ولي الإشراف على (مدارس البنات) منذ افتتاحها عام ١٣٧٩ هـ /١٩٥٩ م ، فكان له أثر عظيم في تقبل الناس لهذه المرحلة الحساسة وطمأنتهم، والرد بالدليل الشرعي على من عارض ذلك.

وإن كان للمؤسسة الدينية السعودية زمن الملك المؤسس رحمه الله أن تتمثل في رجل واحد، فهي متمثلة بسماحة الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله، وفي ذلك يقول الشيخ مُحَمَّد بن عبدالرحمن بن قاسم- رحمه الله- بعد أن ساق في ترجمته المناصب التي تقلدها:

"**وبعبارة عامة؛ فقد كان له رحمه الله الإشراف التام على جميع الشئون الإسلامية داخل المملكة وخارجها مما يتصل بالمملكة العربية السعودية وتعنى بتوجيهه**".

وهذا إنما يدل على عظم المنزلة التي تقلدها الشيخ عند الملك عبدالعزيز، وجلالة قدره عنده، وعظم ثقته به، وكأنما رأى الناس فيهما حلف الإمامين من قبلهما مُحَمَّد بن عبدالوهاب ومُحَمَّد بن سعود، فرحم الله الجميع وجزاهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

ولذلك كلّه، سيكون خطاب الشيخ ومواقفه محلّ الدراسة لهذه الورقة، فالخطاب الديني الصادر من سماحته ينعكس أثره على كل تلك المؤسسات التي أشرف عليها، بل وعلى منهج الدولة الشرعي، منذ توليه وحتى وفاته رحمه الله عام ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م أي قبل عام ٧٩م بعشر سنوات، مما لا يضع أي شبهة في علاقته أو تأثره بخطاب "الصحوة".

الوثيقة محل البحث:

(مجموع فتاوى ورسائل الشيخ مُحَّد بن إبراهيم)

في عام ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م أصدر الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله أمرًا جاء فيه :

" **نفيدكم بموافقتنا على طبع هذه الفتاوى** "أي فتاوى ابن إبراهيم" **وأن يتولى الشيخ مُحَّد ابن قاسم عملية الإعداد والتصحيح، لا سيما وأنه يشرف على بعض الكتب الدينية التي تقوم مطبعة الحكومة بمكة بطبعها ..... فأكملوا ما يلزم بموجبه**"

قال الشيخ مُحَّد بن قاسم رحمه الله جامع هذه الفتاوى :

"**وقد قامت حكومة جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود– حفظه الله– بإنفاذ ذلك الأمر، حفظ الله جلالة الملك خالد وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد نائب جلالة الملك وأبقاهما عمادًا للدين ذيادًا عن حياضه وشد عضدهما بالبطانة الصالحة التي تخاف الله وترجو ما عنده إنه قريب مجيب**"

فهذا المجموع إذن يحوي صورة موثقة عن المؤسسة الدينية التي ارتضاها المؤسس، وأمر بطباعته الملك فيصل، وأنفذ الأمر الملك خالد رحم الله الجميع، وتمت طباعته عام ١٣٩٩ هـ، فهو يمثل منهجية شرعية تتابع ملوك الدولة على نصرتها في الحقبة محلّ الدراسة.

ويمكن تحميل هذا المجموع عبر (هذا الرابط)، علمًا أن النسخة التي اعتمدتها بالتوثيق والإحالة هي النسخة الإلكترونية "نسخة الشاملة" لسهولة تداولها، وهي غير موافقة للمطبوع من حيث ترقيم الصفحات والمجلدات فليُعلم ذلك.

ومنهجي في النقول هو **إثبات رأي الشيخ** في المسألة، وليس **تقرير الأحكام** المعنية وبحثها، لذا سأقتصر على الشاهد من كلام الشيخ اختصارًا لوقت القارئ، دون الإطالة بنقل استدلالاته وتعليلاته، إلا ما اقتضى السياق نقله منها.

(حجاب المرأة)

تكاد تكون مسألة كشف وجه المرأة السعودية ونوع حجابها أكثر ما تم التركيز عليه في نقاش الضيوف والفيلم، حيث كانت الرسالة التي أكدوها مرارا: أن سفور المرأة السعودية "أي عدم تغطية وجهها" أمام الأجانب كان أمرًا ظاهرًا، بل ربما ساد في بعض المناطق كمنطقة الجنوب، وأن هذا لم يتغير إلا بخطاب "صحوي" جديد مستورد من خارج البلاد، لم يُعرف قبل عام ٧٩م..

وفي هذا الشأن، جاء في فتاوى سماحة الشيخ العلامة ابن إبراهيم رحمه الله (١٠/١٦) تحت عنوان: **(حكم سفور المرأة، وخروجها بين الرجال الأجانب)** أنه قال:

"الحمد لله رب العالمين، لا يخفى أن عمل المسلمين ونساء النبي ﷺ ونساء الصحابة في عهده ﷺ وعهد خلفائه الراشدين والسلف الصالح رضوان الله عليهم أن المرأة لا تخرج سافرة، والنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ومن بعدهم على هذا كثيرة معروفة، وقد أمر الله نساء المؤمنين أن (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ)، وفسره ابن عباس وغيره من السلف بتغطية الوجه عن الرجال الأجانب، ولم يضع الجناح في ترك الحجاب إلا عن القواعد بشرط عدم التبرج"

إذن، مفتي الديار النجدية؛ وقاضي قضاتها في زمنه؛ ورجل المؤسسة الدينية السعودية الأول؛ يفتي بأن الحجاب الشرعي الواجب على المرأة هو تغطية وجهها، وأنه عمل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الصحابة والسلف.

أما تاريخ هذه الفتوى فهو ٢١-٦-١٣٨٩هـ، أي قبل وفاته رحمه الله بثلاثة أشهر، مما يعني أنه بقي يفتي بهذا الرأي ويوجه به منذ تصدره وحتى وفاته رحمه الله.

ومما ينبغي أن يُعلم هنا؛ أنّ آراء الشيخ– رحمه الله– ليست مجرد رأي فقهي لأحد العلماء، بل هو رأي يفتي به فيُعتمد على مستوى الدولة، وقد كانت تصله الاستفتاءات من أمراء المناطق وقضاتها ورؤساء هيئاتها في جل القضايا، ومنها قضايا الحجاب..

ومن ذلك أن رئيس المحكمة الكبرى بأبها – أي في المنطقة الجنوبية التي أكثر ضيوف الثامنة من ذكرها وحال نسائها– أرسل إلى سماحة الشيخ يستفتيه عن (**حكم كشف المرأة وجهها ويديها للرجال الأجانب، وعن معنى آيات في الحجاب، وعن جواز اختلاط النساء بالرجال)** فأجاب سماحته برسالة علمية نفيسة في بابها، ذكر فيها أقوال العلماء في تفسير آيات الحجاب ثم قال (١٠/١٧) :

"**إذا علمت ما سبق من الأقوال؛ فالراجح منها هو قول ابن مسعود ﷺ ، لدلالة الكتاب والسنة على مشروعية التستر للنساء في جميع أبدانهن إذا كن بحضرة الرجال الأجانب**" ثم ساق الأدلة على وجوب ذلك من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

وهذه الفتوى تفيد أن الخطاب الدعوي القائل بحرمة السفور ووجوب تغطية المرأة وجهها كان يخرج من مفتي الديار إلى سائر المناطق، ومنها المنطقة الجنوبية.

وفي (١٠/١٣) وثيقة تبين أن السفور كان شائعًا في **بعض** مناطق الجنوب، أي كما أشارت إليه قناة الmbc ، فجاء في السؤال مايلي :

"**ثانياً: يذكر أنه كان بينه وبين أحد رفاقه مناقشة في السفور الشائع في بعض جهات بلادنا الجنوبية وفي بلاد اليمن، حيث أنه ليس كالسفور الموجود في بعض البلاد العربية والإسلامية مقصود به التهتك والتبرج وإبداء كامل الزينة أخذاً بأسباب التقدم والتطور المزعوم، وإنما جرت عادتهم بذلك من قديم الزمن ويسأل عن حكم هذا السفور**"

هكذا جاء السؤال إلى مفتي الديار، فافتتح جوابه بمقدمة حسنة حيث قال :

"**لا شك أن جميع المسلمين ذكرهم وأنثاهم عربيهم وأعجميهم أسودهم وأبيضهم مخاطبون بتعاليم الإسلام وتكاليفه، وأنه إذا انفرد من أجناسهم نوع له حال تخصه منهم صار له في التشريع ما يختص به تبعاً لحاله كالإماء بالنسبة لحرائر المسلمين.**

إذا فهمنا هذا عرفنا أن المرأة في حدودنا الجنوبية وفي اليمن؛ امرأة كغيرها من نساء المسلمين، حرة مخاطبة بتعاليم الدين، ملزمة بتكاليفه في حدود استطاعتها، لا تختص دونهن بوصف يخرجها عنهن"

ثم أقر رحمه الله بما ذكره السائل من وجود السفور هناك، وبين حكم الله فيه فقال :

" السفور الموجود الآن في تلك الجهات منكر مخالف لما اتفق عليه المحققون من علماء الإسلام من وجوب إخفاء الزينة ومنها: الوجه واليدين، إلا ما ظهر منها وهو الثياب الظاهرة أخذاً بقوله تعالى :(وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ..)"

ثم بيّن رحمه الله ووجه أولياء النساء بالواجب عليهم تجاه حجاب نسائهم فقال :

" نعود إلى كلامنا عن السفور في اليمن وفي بعض جهات حدودنا الجنوبية لنكمل القول في أنه منكر، وأنه يلزم المسلمين إنكاره بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا شك أن على أولياء أولئك النسوة مسؤولية كبرى في الحفاظ عليهن وإرشادهن إلى حكم السفور ومخالفته للمقتضيات الشرعية"

فهكذا إذن كان الخطاب من المؤسسة الدينية السعودية لمظاهر السفور؛ إنكارها والأمر بالحجاب الشرعي، وتذكير أولياء النساء بواجبهم تجاههن، خلافًا لما تزعمه الـmbc من أن إنكار هذا السفور جاء بخطاب ديني حادث "مستورد".

ومن المهم أن نعلم أن انتشار السفور في مثل تلك المناطق إنما كان بسبب فشوّ الجهل فيها آن ذاك، لا أنه اختيار فقهي واتباع لمدرسة فقهية كما يُزعم، والدليل على هذا؛ أن الجهل كان حاضرًا في مسائل عديدة من الشريعة لا يسع متعلم جهلها..

ويظهر لنا جلاء ذلك في الخطاب التالي من سماحة مفتي الديار، والذي رفعه إلى مقام رئيس مجلس الوزراء، يبين فيه افتقار أحد مناطق الدولة إلى محاضن العلم، وصورة من الجهل الذي كان ضاربًا أطنابه في أرجاء المملكة، وفيه كذلك لمحة من فضل المؤسسة الدينية على حركة التعليم بأرجاء البلاد (١٣/ ٢١٨):

"نرفق لكم من طيه خطاب فضيلة رئيس محكمة أبها برقم ٢٩٨٨ وتاريخ ٨٢/٥/١٦هـ حول ما رآه من تفشي الجهل بجهات عسير وتلك النواحي، وإهمال الجهات الهامة وغيرها هناك من المدارس والأئمة والمؤذنين، بالرغم من اتساع هذه المقاطعة، وأنها مترامية الأطراف، وقد انتشرت فيها المنكرات بين البادية والحاضرة لعدم وجود من يعلمهم أمر دينهم"

ومن علامات الجهل الذي كان شائعًا هناك: **"أن عقود الأنكحة تجري في بعض الجهات على غير وجهها الشرعي لعدم معرفتهم بشروط النكاح وعدم معرفة الأولياء لذلك"** والجهل بشروط النكاح أعظم من جهل صفة الحجاب الشرعي للنساء.

وفي خطاب آخر (٢/٢٧) جاء فيه مزيد ذكر لمظاهر الجهل بالدين في تلك المناطق، ومنها :

" أنهم يؤخرون ختان أولادهم حتى يبلغ العشرين عامًا ثم يختن ختانًا مخالفًا للسنة"

وفيما يختص بأمور المرأة، ذكر فيه: **"مغالاتهم في المهور بالرغم من فقرهم وقلة ما في أَيديهم...مما كان له أثره السيء في انتشار الفساد فيهم وكثرة العوانس في نسائهم. ومنها: أَن أَولياء نسائهم يستحوذون على صدقاتهن ظلمًا وعدوانًا ولا يعطونهن إِلا النزر القليل جدًا مما يأْخذونه مهورًا لهن"**

وفي خطاب آخر (٤٥٣/١٢) من قاضي "مجاردة" وهي محافظة في عسير، ذُكر فيه صورة أخرى معروفة من صور ظلم المرأة، وهو حرمانها ميراثها الذي فرضه الله لها، حيث جاء في الخطاب:

"سبب هذه المشاكل ما كان متعارفًا عليه فيما بينهم سابقًا واعتادوه، أن المرأة لا تطالب بميراثها من مورثها أيًّا كان، إلا إذا كانت وصية من مورث، وقد نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير. وما ذكره قاضي مجاردة أنه هو وزملاؤه القضاة في تلك الجهات كانوا يعلنون ويذيعون في المجتمعات أن للمراة الحق في المطالبة بميراثها من أي مورث"

إذن، كان هناك جهل في عقود النكاح، وفي صفة الختان، وظلم للمرأة عظيم في حرمانها حقها الذي كتبه الله لها في الميراث، وظلم آخر تسبب بتأخير تزويج النساء، وأخذ مهورهن بغير وجه حق..

فانظر إلى فضل الله سبحانه وتعالى على الناس بشريعة الإسلام، وفضل الدولة التي نصرت الدعوة والمصلحين، فبالإضافة إلى ما أحسنوا إليهم من دعوتهم إلى إقامة الحجاب الشرعي وإلى الحشمة والعفاف؛ رفعوا عنهن صنوفًا من الظلم، ونصروا حقوقهن التي كتبها الله لهن.

ولنتأمل كيف غضت الـmbc وضيوفها الطرف عن كل ذلك في حكاياهم، ثم لم يتكلموا إلا عن "تغطية وجهها" بعد "الصحوة"، وحرمان الرجال الاختلاط بها! لتعلم أن هؤلاء لا يريدون حفظ حقوقٍ للنساء أو ردّ مظالم عنها، وإنما إشاعة الشهوات والفواحش.

(الحجاب والأسرة في البيت الواحد)

من الدعاوى ذات الصلة، والتي تم طرحها كذلك في هذه الحلقة من الثامنة، أن العائلة الكبيرة كانت تسكن في البيت الواحد، وأن نساءها لم يكن يحتجبن عن الرجال الأجانب من أقربائهن، كابن العم وزوج الأخت، وأن هذا لم يتيغير إلا بعد خطاب "صحوي" جديد على المجتمع ينكر هذه السلوكيات..

وإشارة إلى ذلك، جاء في فتاوى الشيخ رحمه الله (١٠/١٥) :

"يذكر المستفتي أن الإخوة في البيت الواحد لا تحتجب زوجة واحدهم عن الآخر، بل لا تستر وجهها وغيره مما يظهر غالباً لمحارمها، ويسأل عن حكم ذلك ؟

والجواب: **لا شك أن الإسلام دين يسر وسماحة، قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ولا شك أن من المشقة على المرأة في بيتها تقييد حرية تنقلاتها فيه، والحال أنها مسؤولة عن شؤونه، كما أن التآلف والتعاون أمر يحترمه الإسلام ويدعو إليه، فلا يُلزم المسلم باعتزال من يرغب المعيشة معه من إخوانه ونحوهم في بيته.**

وحيث الأمر كذلك؛ فإنه يُعفى للمرأة عن بروزها أمام إخوة زوجها ونحوهم، وعليها بالتستر وإخفاء كامل زينتها إلا ما ظهر منها: كالثياب ونحوها، كما أنه محظور عليها الخلوة بهم، قال ﷺ فيما رواه عنه عقبة بن عامر: (إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت) رواه الترمذي. "والحمو أخو الزوج". وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ (لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم) أخرجه البخاري، وبما ذكرنا يتضح المقصود، وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد "

فتأمل حسن الجواب من الشيخ رحمه الله، فقد بين سعة الدين، وبدأ بالمرخص به لأجل هذا الاضطرار من مشاركة السكن الواحد، وهو العفو عن بروزها أمامهم، لكنه لم يقف عند هذا كما تحب الـmbc ، بل بيّن المحذور فعله مما جاء بالسؤال، بوجوب تغطية وجهها وعدم إبداء شيء من زينتها إلا ما ظهر من الثياب ونحوها، أي ما قال به ابن مسعود رضي الله عنه مما تقدمت الإشارة إليه في صفة الحجاب الواجب على المرأة.

(المرأة الأجنبية)

قال المحامي فراج العقلا (د:٥٥:٧) : "**الأجانب لما يجون لأسواق التراث، ما كانوا يلبسون عباءة**" وتزامن كلامه هذا مع عرض المخرج لصور أجنبيات يلبسن القصير في أسواق شعبية، ثم انتقل الكلام إلى عبداللطيف النفيسة فقال : "**كانوا أول سهلين، ما يعارضون على الي لابسه قصير، وفجأة تغيروا، يعني كانوا يقولون هذي أجنبية ماهي مسلمة مالنا دخل فيها**"

والإشكال مع هذه الدعاوى كسابقاتها، وهو اعتبار وقوع تلك المشاهد دليلاً على عدم معارضة الخطاب الديني لذلك، وأنه إنما حصل إنكار هذا من "الصحوة"..

وبالنظر في فتاوى سماحة الشيخ رحمه الله، يظهر لنا بطلان هذه الدعوى كسابقاتها، فقد جاء تحت عنوان (**منع النساء السافرات الأجنبيات من الخروج إلى الشوارع**) خطاب من سماحته، وفيه:

" من مُحَمَّد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي

رئيس مجلس الوزراء حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

نرفع لسموكم المكاتبة الواردة إلينا من فضيلة رئيس محكمة الظهران. .. المعطوفة على ما رفعه له رئيس محكمة الخبر ... حول ما لاحظه في مدينة الخبر من خروج النساء الأجنبيات في شوارعها سافرات متبرجات كاشفات الوجوه والرؤوس، باديات السيقان والأذرع".

وهذه الوثيقة شاهد لما حكته الmbc، ولكن الذي لا يمكن لهذه القناة أن تخرجه هو رأي رأس هرم المؤسسة الدينية في ذلك، حيث قال :

"ولا يخفى سموكم ما في ذلك من الفساد والفتنة للرجال، مع أن ذلك وسيلة كبرى لاقتداء المسلمين بهن، والتزين بزينتهن كما هو الواقع، وكما أشار إلى ذلك قاضي الظهران بحيث تعذر التمييز بينهن. والذي يتعين في مثل هذا غيرة لله ولدينه وقياماً لواجب الرعية التي ولاكم الله عليها، هو العمل على حسم أسباب الفساد وتدهور الأخلاق بمنع أولئك النساء من الخروج سافرات متبرجات، لا سيما والمعروف أن الأجنبي لا يسمح له بدخول البلاد إلا بعد أخذ التعهد عليه بالخضوع لتعاليم البلاد المعمول بها فيها، وأملنا وطيد في أن تولوا هذا الأمر الخطير ما يستحقه من العناية والاهتمام التام. وقد قال النبي ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) أخرجه البخاري. حفظكم الله ونصر بكم الحق وأهله أينما كان والسلام عليكم.

رئيس القضاة".

(اختلاط النساء بالرجال)

قال د.الصويان (د:٣٠) : "**موضوع الاختلاط هذا أصلا ما كان مطروح..لا على نظام العمل.. أو الغريب لما يجي البيت**"

نلاحظ هنا قوة الجزم بغياب مسألة "تحريم الاختلاط" من الطرح في ذلك الزمن، و سنرى الحقيقة فيما يأتي من النقول:

جاءت فتاوى وتقريرات عديدة من سماحة مفتي الديار رحمه الله في هذه المسألة، ومنها أنه سئل عن حكم اختلاط الرجال بالنساء فأجاب (٢٥/١٠) :

"اختلاط الرجال بالنساء له ثلاث حالات :
الأولى: اختلاط النساء بمحارمهن من الرجال، وهذا لا إشكال في جوازه.
الثانية: اختلاط النساء بالأجانب لغرض الفساد، وهذا لا إشكال في تحريمه.
الثالثة: اختلاط النساء بالأجانب في دور العلم والحوانيت والمكاتب والمستشفيات والحفلات ونحو ذلك، فهذا في الحقيقة قد يظن السائل في بادئ الأمر أنه لا يؤدي إلى افتتان كل واحد من النوعين بالآخر، ولكشف حقيقة هذا القسم فإنا نجيب عنه من طريق : مجمل ، ومفصل:

أما المجمل : فهو أن الله تعالى جبل الرجال على القوة والميل إلى النساء، وجبل النساء على الميل إلى الرجال مع وجود ضعف ولين، فإذا حصل الاختلاط نشأ على ذلك آثار تؤدي إلى حصول الغرض السيء، لأن النفوس أمارة بالسوء، والهوى يعمي ويصم والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر.
وأما المفصل : فالشريعة مبنية على المقاصد ووسائلها، ووسائل المقصود الموصلة إليه لها حكمه، فالنساء مواضع قضاء وطر الرجال، وقد سد الشارع الأبواب المفضية إلى تعليق كل فرد من أفراد النوعين بالآخر، وينجلي ذلك بما نسوقه لك من الأدلة من الكتاب والسنة".

ثم ساق رحمه الله نحو ست أدلة من القرآن وعشر من السنة النبوية، وهو جواب قيّم يُحتاج إلى مثله اليوم كثيرا، فأنصح بالرجوع إليه وقراءته كاملا، ثم إنه قال في خاتمته:

" فمن تأمل ما ذكرناه من الأدلة؛ تبين له أن القول بأن الاختلاط لا يؤدي إلى فتنة إنما هو بحسب تصور بعض الأشخاص، وإلا فهو في الحقيقة يؤدي إلى فتنة، ولهذا منعه الشارع حسمًا لمادة الفساد"

وكعادة هذا الإمام الفقيه كما تقدم معنا في نماذج سابقه، أنه وبعد ذكر الممنوع يشير إلى المستثنى من ذلك، فقال :

"ولا يدخل في ذلك ما تدعو إليه الضرورة، وتشتد الحاجة إليه ويكون في مواضع العبادة كما يقع في الحرم المكي والحرم المدني، نسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين، وأن يزيد المهتدي منهم هدى، وأن يوفق ولاتهم لفعل الخيرات وترك المنكرات، والأخذ على أيدي السفهاء ، إنه سميع قريب مجيب ، وصلى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه"

وفي (١٠/٣٧) قال رحمه الله في إجابة سائل:

"وأما اختلاط النساء بالرجال وحصول المفاسد التي ذكرتها فهذا من أكبر المنكرات التي يتعين إنكارها على الجميع"

فالاختلاط عند مفتي الديار السعودية رحمه الله ليس منكرًا فحسب، بل من أكبر المنكرات، وهذا المنكر العظيم يستدعي تفعيل دور الفرد والعلماء والسلطة لصده ودفع شره حيث قال:

"يجب على كل فرد أن يمنع نساءه من هذا السفور والاختلاط، فإن فتنة النساء فتنة عظيمة، وفي الحديث (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)"

ثم بيّن دور أهل العلم والدعاة بأن عليهم " **موالات النصائح، وبذل الجهد في تحذير الناس من مغبتها، وتبيين مفاسدها والاستمرار بذلك، والاستعانة بذوي السلطة وأصحاب النفوذ لعل الله أن يهدي ضال المسلمين والسلام عليكم**".

(عمل المرأة المختلط)

جاء في فتاوى الشيخ (١٨٠/١٠) عنوان : **(توظيف المرأة في الأعمال التي تدعو إلى مخالطة الرجال: كالإذاعة والخدمة الاجتماعية وخدمة الرجال في الطائرات وأشباه ذلك؛ يفضي إلى مفاسد كثيرة)**

وفيه رسالة أخرى جليلة القدر لسماحته، في حكم الاختلاط عامة وفي العمل خاصة، وحكم مساواة المرأة بالرجل في كل الأمور، أورد فيها الأدلة والتعليلات، وناقش الشبهات، وأجاب عنها أحسن إجابة، مما أبان عظم بصيرته وقوة حجته رحمه الله، ثم إنه قال في ختامها :

"مما تقدم من الأدلة يُعلم تحريم توظيف المرأة في المجالات التي تخالط فيها الرجال، وتدعو إلى بروزها والإخلال بكرامتها والإسفار عن بعض محاسنها، مثل كونها مضيفة في الطائرة، وعاملة في الخدمة الاجتماعية، ومذيعة في الإذاعة أو مغنية، أو عاملة في المصنع مع الرجال، أو كاتبة في مكتب الرجال، ونحو ذلك"

ثم بيّن رحمه الله الجائز من عملها فقال : "**أما عملها فيما يختص بالنساء، كالتعليم والتمريض ونحو ذلك؛ فلا مانع منه** ".

وقد تخلل هذه الإجابة رسائل عظيمة منه رحمه الله إلى عامة الناس، في التحذير من الانخداع بدعاوى الغرب وأتباعهم، بعبارات هي في نظرة الـmbc "صحوية" بامتياز..

منها تعجبه من الرجال الذين لا يغارون على نسائهم، أو على نساء المسلمين أجمع، فقال:
" **وأكثر من تخرج المرأة بينهم اليوم فسقة لا ورع عندهم ... وكما أنه ظلم لها، فهو مخل بالمروءة والدين والشرف، والعجب كل العجب ممن لا يغار على حرمة مقبلة مدبرة في غير صيانة ولا ستر بين الفسقة؛ بدعوى التقدم والحرية!**
وما عجبت أن النساء ترجلت * ولكن تأنيث الرجال عجاب "

ومن ذلك استحضاره تجارب الأمم من حولنا، ممن سارعوا إلى هذا الانفتاح المزعوم فذاقوا وباله، فقال : " **ومن المعلوم الذي لا نزاع فيه؛ أن جميع الأقطار التي صارت فيها النساء تزاول أعمال الرجال؛ انتشر فيها من الرذائل والانحطاط الخلقي ما يعرق منه الجبين**"

ولما عدد رحمه الله الفوارق التي بين الذكر والأنثى من حيث الفطرة والتشريعات قال:

"ولا شك أن من المعلوم الذي لا يكاد يختلف فيه اثنان؛ أن البلاد التي تجاهلت هذه الفوارق التي ذكرناها بين النوعين؛ وجعلت المرأة كالرجل في كل ميادين الحياة؛ سبب لها ذلك ضياع الفضيلة، وانتشار الرذيلة، ولا ينكر ذلك إلا مكابر"

ومن جميل ما جاء في هذه الرسالة، تحذير سماحته من دعاة الرذيلة أمثال mbc ممن يخادعون المرأة المسلمة بشعاراتهم المغرية، ولنلاحظ فيما يلي قِدم تلك الشعارات كقولهم #كوني_حرة ، وربط الانفتاح والتقدم بانحلال المرأة وأخلاق المجتمعات، فقال رحمه الله:

" وختامًا ليعلم سموكم أن الذين يخدعون المرأة المسلمة بالشعارات الزائفة والأساليب البراقة الكاذبة: من حرية، وتقدم، وكفاح، وممارسة حقوق الحياة، ويخيلون لها أنها رجل في جميع الميادين؛ يريدون إيقاعها في المآسي الآتية :

أولاً: أن تكون ملعونة في كتاب الله على لسان رسول الله ﷺ لتشبهها بالرجل في كل شيء، وإلغائها الفوارق الطبيعية التي فرق الله بها بينهما قدرًا وكونًا وشرعًا.

ثانيًا: القضاء على حيائها اللائق بشرفها ومروءتها وإنسانيتها.

ثالثًا: تعريض جمالها لأن يكون مرتعًا لعيون الخائنين، يتمتعون به مجانًا على سبيل الخيانة والمكر، على حساب الدين والشرف والفضيلة، من وراء اسم التقدم والحرية. وربما آلت بها تلك المخالطات إلى أشياء أخرى غير لائقة.

رابعًا: تعريضها لأن تكون خراجة ولاجة، تزاول الأعمال الشاقة كالأَمَة، بعد أن كانت درة مصونة في صدف بيتها محجبة، تُكفى كل المؤونات صيانة وإكراماً لها ومحافظة على شرفها، مع قيامها بالخدمات العظيمة لزوجها وعامة المجتمع الإنساني في بيتها من غير إخلال بشرف ولا دين".

(في ضوابط لباس المرأة)

لم يكن الخطاب الديني في تلك الحقبة يدور حول حجاب المرأة عن الأجانب فحسب، بل حتى في لباسها أمام محارمها أو مثيلاتها من النساء، وفي هذه الرسالة من سماحته إلى إخوانه المسلمين؛ يظهر لنا إشفاقه على ما جرى من تساهل في هذا الباب، وإنكاره لمظاهر التفسخ التي أحبتها الـmbc في تلك الحقبة، فقال واصفًا ذلك (٢/١٢٣) :

"فقد تغيرت الأحوال في هذه الأزمان، وابتلي الكثير من النساء بخلع جلباب الحياء والتهتك وعدم المبالاة، وتتابعت في ذلك وانهمكت فيه إلى حد يخشى منه الانحدار في هوة سحيقة من السفور والانحلال، وحلول المثلات والعقوبات من ذي العزة والجلال"

ثم ذكر شيئًا من وصف هذه المظاهر فقال : " **ذلك مثل لبسهن ما يبدي تقاطيع أبدانهن من عضدين وثديين وخصر وعجيزة ونحو ذلك، ومثل لباس الثياب الرقيقة التي تصف البشرة، وكذلك الثياب القصيرة التي لا تستر العضدين ولا الساقين ونحو ذلك"**

وكل هذه الأوصاف فيما يكون من لباسها أمام محارمها أو مثيلاتها من النساء، ثم ذكر مصدر هذا التغير "المستورد" فقال :

"ولا شك أن هذه الأشياء تسربت عليهن من بلدان الأفرنج ومن يتشبه بهم، لأنها لم تكن معروفة فيما سبق ولا مستعملة، ولا شك أن هذا من أعظم المنكرات، وفيه من المفاسد المغلظة، والمداهنة في حدود الله لمن سكت عنها، وطاعة للسفهاء في معاصي الله، وكونه يجر إلى ما هو أطم وأعظم. ويؤدي إلى ما هو أدهى وأمر، من فتح أبواب الشرور والفساد، وتسهيل أمر التبرج والسفور. ولهذا لزم التنبيه على مفاسدها، والتدليل على تحريمها والمنع منها"

وبعد سرد الأدلة في ذلك، ذكر وصف اللباس الشرعي فقال : **"كسوة المرأة في الحقيقة هو ما سترها سترًا كاملاً بحيث يكون كثيفًا فلا يبدي جسمها، ولا يصف لون بشرتها لرقته وصفائه، ويكون واسعًا فلا يبدي حجم أعضائها ولا تقاطيع بدنها الضيقة. فهي مأمورة بالاستتار والاحتجاب لأنها عورة"**

ووجه أولياء النساء بواجبهم تجاه ذلك فقال: "**فيتعين على الرجال القيام على النساء والأخذ على أيديهن ومنعهن من هذه الملابس والأزياء المنكرة، وأن لا يداهنوا في حدود الله، كما هو الواجب عليهم شرعا**".

(الفخذ وعورة الرجل)

قال حسن النعمي (د:٣:٣٧) : "**لبس اللعيبة في الملاعب الشورتات فوق الركبة كان عليها هجوم أيضا**" أي أن إنكار كشف العورات في الرياضة أمر حادث بعد "الصحوة"..

وفي جواب لسماحته حول ضوابط الرياضة المباحة، قال رحمه الله (٨٤/٨) :

"**ومن ذلك ما يتعرض له اللاعبون من كشف عوراتهم المحرمة، وعورة الرجل من السرة إلى الركبة، ولهذا تجد لباسهم إلى منتصف الفخذ، وبعضهم أقل من ذلك، ومعلوم أن الفخذ من العورة لحديث (غط فخذك فإن الفخذ من العورة) وقال النبي ﷺ لعلي : (لا تكشف فخذك ولا تنظر فخذ حي ولا ميت) والله أعلم**"

فهذا مفتي الديار السعودية ينص على هذا المنكر الذي يحصل من اللاعبين، وقد أُرخ لهذه الفتوى بعام ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

(تصوير ذوات الأرواح)

قال فراج العقلا (د:٥) : " **مرينا بفترة إنه إحنا نحرق الصور الموجودة عندنا**" ثم ذكر عبداللطيف النفيسة أنه لما أراد إطلاع عمه على صورة لوالده "**أخذها وشقها ورماها**" ثم قال له "**هذي حرام!**"..

والحقيقة أن اشتهار القول بحرمة تصوير ذوات الأرواح عند أئمة الدعوة النجدية أمر معلوم لا يكاد يجهله مطلع، ودعوى أنه رأي مستورد من الخارج لا يقل سخفًا عما مر معنا سابقا..

والعجيب أن التيار الليبرالي كان كثيرًا ما يسخر من فتاوى أئمة الدعوة في التصوير ونحوها عند مهاجمة "الوهابية"، فهم لا يجهلون ذلك عنهم بكل تأكيد

وإنما هي مرحلة جديدة تتطلب إلباس هذا الخطاب فئةً لا تنتسب إلى البلد وهويته، فاختير "الإخوان" ونُسبت "الصحوة" إليهم؛ ليسهل حرب هذا الخطاب وتخوين حملته في مجتمعنا.

وعودًا إلى مسألة التصوير، فقد قال سماحته كما في الفتاوى (١/١٦٠) : " **تصوير ماله روح لا يجوز، سواءٌ في ذلك ما كان له ظل وما لا ظل له، وسواءٌ كان في الثياب والحيطان والفرش والأوراق وغيرها**".

وفي الرد على من أجاز التصوير الشمسي قال رحمه الله (١/١٦٧) : " **ومن زعم أن الصورة الشمسية لا تدخل في عموم النهي؛ وأن النهي مختص بالصورة المجسمة وبما له ظل؛ فزعمه باطل؛ لأن الأحاديث عامة في هذا، ولم تفرق بين صورة وصورة**"

وكان قد قال بعض العلماء بأن الصورة إذا كانت نصف جسم أو نحو ذلك، كما في الصور الشخصية بالهويات؛ فإنه يرخص بذلك، فقال رحمه الله مشيرًا إلى هذا الخلاف(١/١٦٦):
"**التصوير النصفي لا إشكال عندي في أنه محرم، وإن كان ذهب نزر قليل إلى القول بعدم التحريم، وربما يكون أخف من الكامل لأجل هذا القول، وأما أنا فلا إشكال عندي فيه، لأن الوجه هو المقصود**".

وفي الأمر بطمس هذه الصور إن وجدت قال رحمه الله (٢/١٢٠):

"**فالذي عليه جمهور أهل العلم المنع منه مطلقا، لما في سنن أبي داود (أَنَّ النَّبي صلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ لمَّا رأَى الصُّوَرَ فِيْ الْبَيْتِ لَمْ يَدْخُل حَتَّى أَمَرَ بهَا فَمُحِيَت) ولما في صحيح مسلم:(أنه ﷺ بعث عليًا أَلا يَدَعَ صُوْرَة إِلاَّ طَمَسَهَا وَلاَ قبْرا مُشرفًا إِلاَّ سَوَّاهُ) والمحي والطمس لا يكون للمجسد، بل لما كان بالصبغ ونحوه. ويجب قبض وطمس ما يوجد منها**".

وبيّن الرخصة فيها عند الاضطرار إليها (١/١٦٨):

"**فقد وصل إلينا كتابك الذي تذكر فيه حالتك عند مراجعة مصلحة الضمان الاجتماعي وأنهم طلبوا عليك عكس** "أي تصوير" **وأنت محتاج لهم وذو عائلة ومَدين، وتسأل هل يجوز العكس؟**

والجواب: إذا كان العكس بنصف الصورة فأقل؛ وكان التصوير للضرورة؛ وكنت كارهًا لذلك لولا ما ذكر؛ فالمسألة تكون في حقك أخف من غيرك، والفقهاءُ صرحوا بأنه إذا أُزيل من الصورة ما لا تبقى معه الحياة فلا بأس، ولعل هذا بمثابة تصوير النصف فأقل، ونظرًا لما ذكرته عن حالتك أرجو أن لا بأس بذلك".

(حكم الغناء)

قال عبداللطيف النفيسة حاكيًا بعض ما كان يُعرض بالتلفزيون الرسمي (د:٢٥:٤): **"كانت تُعرض أغاني أم كلثوم، وصباح"**..

وفي حكم سماع الأغاني ورد إلى سماحته هذا السؤال: **(ما حكم الأغاني التي تصدر في الإذاعات والحفلات؟)** فأجاب رحمه الله (١٠/١٧٠) :

" هي مقسمة إلى قسمين :

الأول : ما اشتمل على حكم ومواعظ وحماس ونصائح ونحو ذلك مما لا غرام فيه، ولا يشتمل على صوت مزمار ونحوه، فهذا لا محذور فيه، لما فيه من المصلحة.

الثاني : ما فيه غرام، ويشتمل على صوت مزمار وما أشبه ذلك فهو حرام، والأصل في ذلك الكتاب والسنة"

وقال رحمه الله (١٠-١٦٨):

"لا يجوز الاستماع إلى أغاني الراديو، لا في حق الرجل ولا في حق المرأة، ولا فرق في ذلك بين أغاني الرجل وأغاني المرأة، وصاحب البيت الذي يشغل الراديو على الأغاني أو يقر غيره على تشغيله على الأغاني في بيته مرتكب جريمة"

ولم يزل رحمه الله يذكّر الناس بحرمة هذه الأغاني ويناصح ولاة الأمر بشأنها، ومن ذلك ما جاء في الفتاوى (١٠/١٧٣) :

" من مُحَمَّد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي
رئيس مجلس الوزراء وفقه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
فقد جرى البحث مع سموكم حول ما اشتملت عليه الإذاعة من الغناء، وذكرنا لسموكم أنه محرم، وقد طلبتم البيان بشيء من الدليل، وإلى سموكم دليل تحريم الغناء من الكتاب والسنة وكلام الأئمة الأربعة" .

وفي نصيحة أخرى منه رحمه الله (١٩١/١٠) قال فيها :

" فلا يخفى أن آلات الملاهي حرام بيعها وشراؤها واستعمالها، واتخاذها مطلقًا على أي وجه كان، وقد كثر في هذه الأيام توريد صندوق الغناء المسمى (الشنطة) واستعماله، وافتتن به كثير من السفهاء، وأصبح يباع علنًا في الأسواق. وسموكم يعلم أنها ممنوعة من قديم، وكم جرى من تكسيرها وإحراقها إذا وجدت، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها".

وفي مراسلة أخرى وبعد سرد أدلة تحريم الغناء والملاهي، قال رحمه الله كلاما عظيمًا، استحضر فيه مكانة هذه البلاد ومنزلتها، وخاصيتها عن غيرها (١٨٠/١٠):

" ومما يؤكد تحريم ذلك؛ ويوجب مضاعفة الإثم؛ كون ذلك يُلقى في مهبط الوحي، ومطلع شمس الرسالة، لما يترتب على ذلك من إضلال الناس وفتنتهم ولبس الأمور عليهم، حتى يعتقدوا أن ذلك من الحق كونه صدر من مهبط الوحي، وحماة الحرمين الشريفين الذين هم محط أنظار العالم وأمل المسلمين".

وعن ظهور المغنيات على وجه الخصوص قال : "**ومما يزيد الإثم أيضًا ويضاعف الفتنة أن يشارك في ذلك النساء بأصواتهن الفاتنة المثيرة للغرائز، وقد قال ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)".**

فتأمل تلك النصيحة المشفقة من هذا الإمام الرباني، كيف أن مجرد بث تلك الأغاني عبر الراديو أو التلفزيون من بلاد الحرمين؛ يلبس على المسلمين ويضلهم، لعظم منزلة هذه البلاد في قلوبهم، وعلو مكانتها في الدين، فكيف باستقبال المغنين والمغنيات وسقطة الناس في هذه البلاد الطاهرة وإقامة حفلاتهم فيها، لا شك أن هذا أعظم ذنبًا عند الله، وأدعى إلى "**إضلال الناس وفتنتهم ولبس الأمور عليهم، حتى يعتقدوا أن ذلك من الحق كونه صدر من مهبط الوحي وحماة الحرمين الشريفين الذين هم محط أنظار العالم وأمل المسلمين**".

(الراديو والسينما والتلفزيون)

لم يزل موقف أئمة الدعوة النجدية من هذه الوسائل وقت حدوثها محلّ الأخذ والرد والجدل في الساحات الثقافية والفكرية، بكلا طرفيه الغث والسمين، إلا أن الـmbc أتت بما لم يسبقها إليه أحد، وهي دعواها التي تكررت معنا مرارًا في المسائل السابقة، بزعمها أن موقف العلماء والدعاة من فساد هذه الوسائل والتحذير منها إنما جاء بعد عام٧٩م، وأن الخطاب الدعوي السائد والمصاحب لظهورها قبل هذا التاريخ كان متسامحًا معها وما فيها..

ولأن الكلام حول آراء علماء الدعوة في هذه الوسائل الإعلامية يدور حوله الكثير من اللغط والتدليس في الساحة الفكرية، فسأحاول أن أعرض رأي سماحة مفتي الديار السعودية بهذه الوسائل بدقة، مراعيًا منهج الاختصار السابق، وبشيء من التسلسل الزمني؛ ليُعلم موقفه الصحيح منها، وعن نوع المحرم فيها، وعلة التحريم لها.

حكم الراديو:

وهو أول هذه الوسائل الثلاثة ظهورًا في العالم، وقبولاً وتأسيسًا في بلاد السعودية، وموقف مفتي الديار منه كان واضحًا جليا، ومن ذلك أنه ورد إليه السؤال التالي (١٠/١٦٨): **(الراديو هل يحرم استعماله؟)** ، فأجاب رحمه الله: "**الحمد لله، لا يحرم استعمال الراديو، أي تشغيله لأخذ أخبار الإذاعات ونحوها، إلا إذا كان فتحه على ما لا يجوز استماعه من الغناء وسائر المحرمات فيحرم**" إذن، الأصل في الراديو عند الشيخ رحمه الله هو الحل، وإنما يحرم استخدامه بحرمة المعروض فيه.

حكم السينما:

ثم إنه دخلت على الناس "السينما" عبر أفرادهم، وكان ذلك قبل دخول التلفزيون إلى الدولة السعودية، وصار البعض يقتني آلة عرضه في بيته ويشاهد عبره الأفلام، وسنستعرض موقف الشيخ رحمه الله من هذه الآلة وما تعرضه:

قال رحمه الله في سياق حديثه عن الملاهي وحكمها بأحد دروسه (٣/٧) :

"**الآن اللهو أشياء عديدة كثيرة، وهناك أشياء ملهيات غير آلات، وفي الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) وفي الأخرى :(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ) ، فكل شيء يصد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الملاهي**" ثم إنه وبعد أن بيّن القاعدة في الملاهي بدأ بذكر أمثلة لها فقال: "**المزامير، والطبول، والدفوف المصنجة، وغير ذلك أشياء لا يحصى**" ثم ذكر بعد ذلك : " **منها السينما،فيها علل أخرى غير اللهو، ولهو السينما يفوق كل لهو**" فيُعلم من هذا أن علل تحريم السينما عند الشيخ رحمه الله متعددة وليست واحدة.

وفي نصيحة عامة للشيخ قال رحمه الله (١٩٢/١٠):

"**من أعظم المعاصي استعمال الملاهي، من الفتح على السينما وغيرها. ولا سيما ما يشتمل على المناظر والمسامع المحرمة، فإنها تشتمل من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة والإغراء بالفواحش وغير ذلك مما يعرفه أرباب البصائر**"

وهنا نرى أن من علل تحريمها عنده رحمه الله إضافة إلى كونها مما يلهي ويصد عن ذكر الله؛ أنها تعرض المحرمات، ثم قال في موطن آخر (١٩٤/١٠) :

"**السينما إنما يؤخذ في الفيلم أشياء انطبعت فيها الصور حقيقية كما في تسجيل الصوت**" وهنا يبين الشيخ العلة الأصلية عنده في حرمة السينما، وهي أنه يشتمل على صور، وقد تقدم معنا رأي الشيخ رحمه الله في تحريم تصوير ذوات الأرواح مطلقا، ثم إنه بدأ يعدد مافي السينما من بلايا فقال : " **وفيها وجود النساء والمردان، ووجود التقبيل ونحوه، وكونها تلهي فإنها من أكبر الصواد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ففيها محرمات من عدة أشياء**"

وعلة التصوير هنا فوق كل علة، وبها يُعرف أن رأي الشيخ رحمه الله هو حرمة السينما مطلقا، ولو كانت لا تصد عن ذكر الله أو خالية من المحرمات.

ويدل على هذا أنه عُرض عليه رحمه الله سؤال طويل (١٠/١٩٥) من (مجلس الوزراء) يستفتون سماحته بحكم الاستفادة من الأفلام التعليمية للعاملين في قطاعات الدولة المختلفة، وذُكر في السؤال الكثير من دواعي الحاجة والاضطرار، والمصالح المعتبرة في ذلك، وتأكيدٌ على أن هذه الأفلام "**ليس فيها أي شيء من التعظيم للصور التي تعرض فيها بقصد التعليم.. وليس فيها شيء للهو أو الطرب**" ثم جاء في تتمة السؤال عبارات تكتب بماء الذهب ممن ولاهم الله أمر بلاد السعودية :

" وأنتم تعلمون أدام الله وجودكم أن ألزم ما علينا في هذه البلاد هو ديننا، والمحافظة على أوامره واجتناب نواهيه، ويأبى الله أن نرضى أو نوافق على أي شيء يخالف الدين أو ينهى الدين عنه"

فما أحسن والله هذه الكلمات، وهي صورة جليّة لحرص ملوك هذه الدولة على الشرع وعدم الخروج عنه "**ولو كانت هناك مصلحة تظهر كبر الجبال وهي مخالفة للشرع فالمضرة منها ستكون أعظم**" فهكذا كان حرصهم، لا كما تبثه ال mbc وأنصارها عن تاريخهم..

ثم إنه جاء في رده رحمه الله على هذا الاستفتاء :

" أجاب الشيخ مُحَّد بن إبراهيم على هذا بعد تأمل:

إننا لا نرى في هذا إلا المنع، لأنه أولاً: عرض صور، وإن كان لمدة قصيرة ثم تزول، ولكنه عرض لصور متحركة بالجملة" وبهذا يتضح أن التصوير هي علة التحريم الأصلية عند الشيخ، والتي بسببها رأى المنع رغم تحقق مصالح معتبرة في التعليم، ثم ذكر عللاً أخرى.

ولما كانت المسألة من نوازل العصر؛ وداخلة في باب الاجتهاد؛ لم يغلق باب المباحثة فيها حيث قال في ختام الفتوى:

"ومع هذا فلست متعنتًا في هذا الأمر، فإذا وُجد من العلماء ممن يشرح الموضوع شرحًا دينياً؛ فأنا مستعد لسماع أقواله وعرضه على ما أعلم، ولا يلزمني إلا أن أقول ما أعتقد. وقد دعا لجلالة الملك بالتوفيق لما فيه الخير للإسلام والمسلمين".

وهكذا هم العلماء الربانيون، إنما يريدون إصابة الحق باجتهادهم، ويحرصون أشد الحرص على تصور المسائل حق التصور قبل الحكم عليها، فليست آراؤهم تعنتا، أو إرضاءً لأحد من البشر، إلا ما يعتقدونه ويدينون به.

ثم إنه لم يزل رحمه الله يوجه بمنع السينما وآلاته، ويحتسب على كل مظاهر تطبيعه، أو بيعه وشرائه، ومن ذلك خطابه إلى الملك رحمه الله (١٩٧/١٠):

"من مُحَمَّد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أيده الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
نرفع لجلالتكم بطيه الكرت الذي أعلن فيه المدعو ... عن بيع وتأجير أفلام ومكائن سينمائية، وجلالتكم يعلم ما وراء ذلك من النتائج السيئة، لذلك نرجو الأمر بمعاملة هذا بما يستحقه. والله يحفظكم".

حكم التلفزيون:

إذا علمنا رأي الشيخ رحمه الله في السينما، فإن رأيه بالتلفزيون مماثل، وهو التحريم، ولذات العلل، إلا أن الشيخ يرى أن التلفزيون أعظم شرًا حيث قال عنه : "**وهو أشد فتنة من السينما**".

وأعرض هنا وثيقة عظيمة، تبين كيف كان هذا العالم سدًا منيعًا أمام أمواج التغريب وأدواته في تلك الحقبة، وقوته في الحق والثبات عليه، ونصحه لولاة الأمر والرغبة بالخير لهم وللمسلمين، فقد ورد إليه خطاب من الشيخ مُحَمَّد بن علي جماح رحمه الله، مؤسس المدرسة السلفية في بلجرشي عام ١٣٧٠ هـ ، وأحد أعيان دعاة المنطقة الجنوبية الذين كان لهم الفضل بعد الله في نشر الدعوة هناك والمعرفة، ورفع الجهل عن الناس، فجاء في رد سماحة الشيخ على خطابه (١٩٨/١٠) :

"من مُحَّد بن إبراهيم إلى حضرة الإخوان المشائخ
مُحَّد بن علي جماح وإخوانه بالمدرسة السلفية
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
فقد وصلنا خطابكم المؤرخ في ٢٠-١٢-١٣٨٤هـ واطلعنا على ما تضمنه من التهاني بالحج، وبعودتنا إلى الوطن بالصحة والسلام، وإنا لنشكر لكم هذه التهاني وهذا الشعور الحسن، بارك الله فيكم .

هذا وقد أحطنا علمًا بما نبهتم عليه بصدد التليفزيون، والحقيقة أن موضوعه هو كما ذكرتم[١]، ونسأل الله أن يصرف عن المسلمين طرق الشرور ومسبباتها، إنه على كل شيء قدير .... أما ما ذكرتم أنه بلغكم أننا سنفتتحه، فمن أين بلغكم ذلك؟ وأنا قد دافعت دفاعاً شديداً في حماية المسلمين منه وكفه، وهذا من فضل الله عليّ ولا أزال عند موقفي في ذلك. اسأل الله أن يهدي ولاة الأمور، ويوفقهم لما فيه الخير والصلاح".

والحقيقة أني بقيت مدة أتأمل قوله رحمه الله "**وأنا قد دافعت دفاعًا شديدًا في حماية المسلمين منه وكفه**" وأتصور كم يقف خلف هذه الجملة من نقاشات ومراسلات، وضغوط وأذى، ومواقف كثيرة يعلمها الله، فما أعظم رحمة الله بالناس والولاة بتسخير هؤلاء الأئمة الناصحين لهم، يذودون عن دينهم، ويدرأون عنهم الشرور وما يضر دنياهم وأخراهم، فاللهم اجزه وعلماء الأمة عن المسلمين خير الجزاء[٢].

وقد كان لثبات الشيخ ونصحه وصدقه آثار عظيمة على الإعلام السعودي، ومن ذلك ما صدر من خطاب ساميّ إلى وزارة الإعلام، جاء فيه منع السفور والتبرج في الإعلام، وعدم السماح بعرض السينما في الأماكن العامة، وأنقله بطوله لأهميته (١٠/١٩٧):

"من مُحَّد بن إبراهيم إلى فضيلة ... المحترم ،السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

[١] لابد عند قراءة مثل هذا استحضار أن غالبية ما كان جاهزا للعرض في التلفزيون تلك الحقبة هو الطرب والغناء، والأفلام والمسلسلات الماجنة، والتي تقدم وصف شيء مما فيها، وأن المشايخ يخشون من أثر ذلك على المسلمين في بلاد الحرمين.
[٢] يحسن التنبيه إلى أن اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ ابن باز رحمه الله كانت تفتي بنفس فتوى الشيخ ابن إبراهيم هذه، ثم إنه كان آخر قوليها جواز استعمال التصوير "الفيديو" ما دام في المباح، لتبين انتفاء علّة تحريم الصور عندهم منه، فصار حكمه يدور مع ما يعرضه، إن عرض المباح فمباح، وإن عرض الحرام فحرام، واشتهر الترخيص بذلك بين العلماء بعد ذلك، وهذا يعني أن الفتيا بهذا الخصوص زمن الصحوة كان "أسمح" منه قبلها، فلتنتبه لهذا الـmbc.

إشارة إلى صورة من الخطاب السامي الموجه إلى وزارة الإعلام والمعمم على الجهات الحكومية برقم ٢٦٠١١ في ٢٨-١٢-٨٥هـ حول منع السفور والتبرج، مع أخذ التعهد على كل شخص يتم التعاقد معه باحترام أنظمة البلاد وتقاليدها السامية، وتدعيم الرقابة على الكتب بمفتشين من كبار طلبة العلم الموثوقين ممن اتسعت آفاقهم ومداركهم، وأن لا يذاع أو ينشر في الصحف إلا ما يتفق مع عقيدتنا وعاداتنا وتقاليدنا، وعدم السماح بعرض السينما في الأماكن العامة مطلقاً، ومن يحاول العمل بمثل ذلك يجازى بمصادرة الأفلام والآلات الخاصة بذلك مع السجن والجلد أمام الناس. إشعاركم والعمل بمقتضاه. والله يحفظكم.
رئيس القضاة ".

وبالنظر إلى تاريخ هذا الخطاب السامي، نجد أنه كان سنة ١٣٨٥ هـ /١٩٦٥ م ، وفيه توجيه بمنع السفور والتبرج، فهو وثيقة تدل على أن أنظمة الدولة كانت توجه بمنع السفور عملا برأي مفتي الديار رحمه الله، وهذا قبل عام ٧٩م بـ ١٤ سنة.

ومن الوثائق التي تبين أن المؤسسة الدينية السعودية كانت تستنكر مظاهر السفور في الإعلام، ونشر المجون فيه، خطاب من مفتي الديار إلى جهات رقابية جاء فيه (١٦/١٠) :

"**يؤسفنا ويؤسف كل غيور على ما قامت به جريدة الرياض من نشر صور نساء سافرات عاريات، وقد طلع العدد (١١٠٩) منها الصادر بتاريخ يوم الاثنين ١٠ شوال ١٣٨٨هـ وعلى صفحته الرابعة صورة كاملة للمغنية أم كلثوم. أفهذا يخفى عليكم؟ إننا نعتقد فيكم الغيرة لله، والترفع بهذه الصحيفة عن هذه الرذائل بنشر هذه الصور المحرمة، وننتظر ماذا تعملون تجاه هذه الأمور. هذا والسلام عليكم ورحمة الله**".

وأكتفي بالنقول عند هذا الحد، وننتقل إلى النتائج..

(النتائج بعد عرض النقول والوثائق)

لنرجع قليلا إلى مقدمة هذه الورقة، لنتذكر دعوى قناة الـmbc عبر هذه الحلقة من الثامنة:

"الخطاب الديني السعودي قبل عام ١٩٧٩م لم يكن يبالي من تلك السلوكيات المذكورة –كمظاهر السفور، والغناء، والاختلاط إلخ– أو كان متقبلاً لها، أو بعيدًا عن الخوض فيها، أو متساهلاً معها، وإنما حصل التغيير "الصحوي" في المجتمع بسبب خطاب جديد تماما، جاء مستوردًا من خارج البلاد أتى بعد ذلك العام"

وبعد الاطلاع على مجموع هذه النقول والوثائق الثابتة، تبين لنا مدى ضحالة هذه الدعوى، ورأينا كيف كان الخطاب الديني السعودي قبل عام ٧٩م يتعامل مع جل تلك المشاهد والسلوكيات..

وهذا يدل على أن الخطاب الديني الذي تسميه الـmbc بالخطاب الصحوي، ووضعت له سمات، وبينت مواقفه من تلك السلوكيات؛ هو في الحقيقة امتداد لخطاب المؤسسة الدينية السعودية الرسمية منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله..

وأن مظاهر الصحوة الإسلامية التي تغيض الـmbc إنما جاءت بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بتعاقب ملوك هذه البلاد على نصر شريعة الله وأئمة دينه، من علماء الدعوة ورموزها، الذين توارثوا هذه الدعوة السلفية بنور من الكتاب والسنة منذ نشوئها على يد الإمام المجدد مُحَمَّد بن عبدالوهاب رحمه الله..

وإذا كنا قد نظرنا إلى نماذج من خطاب سماحة مفتي الديار ابن إبراهيم رحمه الله، وقوة حجته، وغيرته على دين الله والمسلمين، واحتسابه ونصحه لعامة الناس وخاصتهم، فلنعلم أن هذا كان هو حال المؤسسة الدينية السعودية حتى وفاته رحمه الله سنة ١٣٨٩ هـ /١٩٦٩م.

ثم إنه قد خلفه في رئاسة الإفتاء وعدد من مناصبه بعد وفاته؛ خير خلف لخير سلف، الإمام العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله وقدس روحه في عليين، والذي تقدم معنا أنه أبرز تلاميذه وأشبههم به..

وفتاوى العلامة الباز واختياراته، ومواقفه ومناقبه، ونصحه واحتسابه، وغيرته ومنهجه، أشهر من الحاجة إلى عرض نماذج منها هنا، والتي لا تكاد تجد فارقًا بينها وبين ما عرضناه من خطاب شيخه ومفتي الديار من قبله في جل ما ذكرناه..

والإمام الباز رحمه الله، هو من كان يقود تلك الصحوة الإسلامية المباركة، وموجهها ومسددها، وهذا ما لا أحتاج إلى إثباته لشهرته أيضا..

فأي عقل يجد بين ذلك كله مساحة لخطاب "مستورد" جاء "فاختطف" المجتمع؟!

(إذا كان الخطاب واحدا، فلماذا تأخرت الصحوة؟)

الجواب المختصر على هذا السؤال؛ أن دعوة المجتمعات والتغيير فيها لا يأتي بإسدال ستار، أو بخطف الناس بغتة... إلا في حكايا الـmbc..

لقد خلّف توحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك المؤسس رحمه الله تركة كبيرة من المدن والقرى مترامية الأطراف، بحواضرها وبواديها وأريافها، حوت آلافًا مؤلفة من الناس، ونشر الدعوة بينهم؛ وتعليمهم أمور دينهم؛ ورفع الجهل عنهم؛ وبث المعرفة فيهم؛ يحتاج إلى مقومات ووسائل عديدة وأوقات مديدة..

والصحوة الإسلامية المباركة التي وصفها الشريان بأنها حوت "**المجتمع بكل أطيافه**" ما كانت لتحصل بهذه الصورة الشاملة لولا توفيق الله ثم ما سبقها من جهود عظيمة، أولها قيام دعوة المجدد مُحَمَّد بن عبدالوهاب ونصرة الأئمة من آل سعود لها، ونشر التوحيد ومحاربة البدع والضلالات..

وقد وضع الملك عبدالعزيز رحمه الله بمعية أئمة الدعوة وعلى رأسهم مفتي الديار السعودية اللبنات الأساسية لنشر الدعوة وانتشار المعرفة في الدولة، ومن ذلك إنشاء المدارس والمعاهد العلمية والجامعات، والخطط لتعميم ذلك بأرجاء البلاد، وما سبق ذلك من إرساء الأمن، وإقامة العدل بتعيين القضاة في المناطق، وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعيين رؤسائها في أرجاء البلاد..

ولم تزل الجهود مبذولة، إلا أنه لم يتيسر في تلك الحقبة من مقومات الدعوة ووسائلها وكثرة أفرادها ما يسره الله وفتح به بعد اكتشاف البترول، أو ما سمي بزمن "الطفرة"..

حيث انتشرت المدارس بعدها والجامعات، وكثرت وسائل الدعوة، وذلّل لها ملوك الدولة كل السبل، مما تسبب بتزايد أعداد الدعاة وحلق العلم في أرجاء المملكة بحمد الله، فصار ما يدور على لسان مفتي الديار وبياناته؛ يصدح في منابر الجمعة ومحاضن الدعوة في مشارق الجزيرة العربية ومغاربها..

ثم إن الله سبحانه وتعالى سخر وسائل الإعلام لذلك، سواءً الإذاعة، أو المنشورات الدعوية والعلمية بشتى مخرجاتها، من كتب أو كتيبيات ومطويات، حتى جاءالشريط الإسلامي؛ والذي شكل بفضل الله نقلة نوعية في تعليم الناس أمور دينهم، فما صار يخلو بيت منه..

فبارك الله تلك الجهود وسدد خطاها، وقامت الصحوة الإسلامية المباركة، فتشبّعت البلاد منها وارتوت، ثم انطلقت منها إلى أرجاء الدنيا..

تلك الصحوة التي دائما ما تكون حاضرة في خطابات الملك فهد رحمه الله، مبشرًا بها ومفتخرا، ومعززًا لها ومناصرا..

ومن ذلك ما قاله في خطابه الشهير الذي ألقاه نيابة عن الملك خالد-رحمه الله، في افتتاح مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة، وأمام قادة دول البلاد الإسلامي، وسأقتبس منه بعض ما ذكره عن الصحوة المباركة، وجزئية بيّن فيها ما هو "المستورد" حقيقة في بلادنا:

"أيها الإخوة: يشهد عالمنا الإسلامي اليوم صحوة أعادت إلى كل مسلم اعتزازه بدينه وتراثه وانتمائه لحضارته الإسلامية، وإذا كانت هذه الصحوة قد عبرت عن نفسها في ظواهر سياسية واجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات، فإن مضمونها الأساسي قائم على التسليم بإفلاس الأفكار المستوردة والعقائد المصدرة، وعلى الإقناع الوطيد بأن المشاكل التي تعاني منها البلاد الإسلامية لن تنتهي إلا بحلول إسلامية مستلهمة من روح الشريعة السمحاء، ومتجاوبة مع احتياجات العصر.

إن هذه الصحوة الإسلامية ليست موجهة ضد أحد ما، ولا كتلة ما، ولكنها انفجرت لتقضي على التخلف الذي ران على العالم الإسلامي قرونًا طويلة، وجعله ضحية الغزو الفكري والاقتصادي والعسكري، إننا نعلن من هذا المكان الطاهر المبارك أن صحوة الإسلام ليست خطرًا على أحد، بل بشرى بمجتمع جديد يؤمن للإنسان المسلم تطلعاته إلى الحياة الكريمة التي تليق بالكرامة الإنسانية، ويحقق للبشرية ما تصبو إليه من أمن وسلام وتقدم"

فهد بن عبدالعزيز

(مشروع مسلسل العاصوف)

لم تكن حلقة الثامنة (#حكايا_الصحوة) أول محاولات mbc لتزييف تاريخ هذه الدولة سياسيًا ودعويا، بل كان هناك محاولة أكثر حبكًا من حكايا الثامنة، وهي إنتاج مسلسل (العاصوف) الذي كلف ملايين الدولارات، وقد حُدّد وقت لعرضه ثم أُجّل هذا العرض إلى أجل غير مسمّى..

وخلافًا لحلقة #حكايا_الصحوة التي جعلت التاريخ بين حقبتين، ما قبل ٧٩م وما بعده؛ فقد ركّز (العاصوف) على حقبة السبعينات الميلادية تحديدا، لإيصال ذات الرسالة المزيفة التي مرت معنا، ولكن عبر الدراما، وبتسليط الضوء على حقبة تخدم الرسالة المراد إيصالها..

وأحسن من فنّد رسالة هذا المسلسل وقتل شبهته في مهدها؛ الشيخ الدكتور وليد الهويريني عبر مجموعة (سنابات) مصورة نشرها بحسابه تحت عنوان **(تزييف السردية الوطنية السعودية)** أنصح بالاطلاع عليها عبر هذا الرابط.

ومما ذكره الدكتور وليد، أن من أهم أسباب اختيار حقبة السبعينات؛ ضعف المؤسسة الدينية في ذلك الوقت نظرًا لوفاة مفتي الديار السعودية الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م ، أي على مشارف السبعينات..

ولا شك أن من اطلع على ما بيناه من منزلة الشيخ –رحمه الله– العلمية والمرجعية من جهة، وما تولاه من مناصب رسمية في الدولة، ثم ما اقتبسناه من خطاب الشيخ ومواقفه، والذي يمثل جزءً يسيرًا منها ومن مسيرته؛ ليعلم معنى أن تكون وفاة هذا الجبل والسد المنيع أمام فتن ذلك الزمان فرصة لتنفس التغريب في تلك الحقبة، بشتى مسمياته من علمانية أو شيوعية أو ناصرية.

ومما ذكره الدكتور الهويريني أن هذه الحقبة تحديدًا "أي السبعينات الميلادية" طالما ركّزت عليها التيارات العلمانية محاولة جعلها الصورة الأصلية للمجتمع السعودي عبر الروايات والمقالات ونحوها، واستشهد بتسمية المؤرخ عبدالعزيز الخضر لتلك الحقبة بـ (اللحظة الليبرالية بين ١٩٦٩م –١٩٨٠ م) كما في كتابه (السعودية سيرة دولة ومجتمع).

ثم إنها ولله الحمد لم تتعدّ أن تكون "لحظة" كما أُرخ لها، ثم انتعشت الأمة بالصحوة الإسلامية المباركة، وعادت إلى معين الوحيين.

خاتمة

عند التأمل فيما تم اقتباسه من خطاب المؤسسة الدينية السعودية في مدافعة التغريب في تلك الحقبة؛ نجد عجبًا من تشابه الشعارات التي يمرر من خلالها الحرب على الدين والفضيلة بين الأمس واليوم، فها نحن وبعد مرور أكثر من ستة عقود؛ لا يزال أعداء الملة يرددون ذات الشعارات؛ بالدعوة إلى الرذائل والانسلاخ من عقيدة الإسلام باسم: الحرية،والمساواة، والانفتاح، والتقدم، والتطور..

وكما كان التركيز في تلك الحقب على المرأة المسلمة، فإن التركيز اليوم عليها، وكما كان "الفن" و "الاختلاط" و "الترفيه" وسائل التأثير على المجتمع لنيل ذلك؛ فإن السعي حثيث اليوم لتعزيزها..

واتفاق شعاراتهم وباطلهم على مرّ العصور إنما هو من اتفاق مصدرها ومُوحيها، الذي قال الله تعالى عنه : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) فكم أضل من حزبه السابقين، وكم سيضل في القادمين، قال ابن القيم رحمه الله:

"فلا إله إلا الله، كم فتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان، وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنّع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة، وكم بهرج من الزيوف على الناقدين، وكم روّج من الزغل على العارفين، فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة"

والشيطان ذاته من " **يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى سبحانه عنه بهذا، قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)"** [إغاثة اللهفان ١٤٦]

نسأل الله العلي القدير أن يحفظ على بلاد الحرمين إيمانها ودينها، وأمنها ووحدتها، وأن يبصّر ولاة الأمور بما فيه عز الإسلام وصلاح المسلمين، وأن يرد كيد الكائدين ومكر المتربصين بها من أعداء الملة أجمعين، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وبالله تعالى التوفيق.

وائل بن عبدالله الدهش

الرياض، ٧ ربيع الأول ١٤٣٩ هـ.